

التطرف الديني وراء تنامي ظاهرة الاغتراب

أيمن حماد: الاغتراب سمة أساسية في السرد العربي الحديث



المغترب منفصل عن الزمان والمكان (لوحة للفنان سليمان جوني)

بالوحدة والكابسة، وثمة وسائل لكل مغترب للتعبير عن اغترابه يلخصها الناقد في اللحم والمونولوج والأغنية والمناجاة والحوار والأمثال الشعبية.

ويشير إلى أن وسائل الاغتراب قد تظهر منفصلة أو مُجمعة، وهي في الغالب غير مقصودة لكنها صارت إحدى السمات للصيقة بالسرد الحديث.

أيمن حماد
منذ الستينات والرواية
العربية معنية بالاغتراب
بسبب الاستبداد

ويوضح أنه لا توجد دراسات وافية لاستقراء وتحليل ظاهرة الاغتراب في الروايات العربية المعاصرة، وإحدى أبرز الصعوبات التي تواجهه النقاد في هذا الشأن الاتساع الكبير في حجم المعروض من الأعمال الروائية وصعوبة الإلمام بها جميعا، فضلا عن قلة عدد المصادر المعبرة عن مفهوم الاغتراب واختلافها في التعريف، بجانب ضرورة الإلمام بالحقب التاريخية التي تعتبر عنها الأعمال الروائية باعتبارها دافعا إلى الاغتراب أو ملجا لمقاومته.

ويتصور حماد أن النقد الأدبي في العالم كله يتجه إلى المزيد من التخصص، ومدارس النقد في العالم العربي لم تستفد بالقدر الكافي من الحركة النقدية الحديثة، وأخطر عيوب الحركة النقدية المعاصرة حسب رايه هو انغزالها عن حركة الإبداع.

ويلفت إلى أنه عمل خلال العامين الأخيرين على نقد النقد ليرصد ملامح التجديد والتغير في حركة النقد العربي ويعيد التفكير في الكثير من الطروحات التي ينتظر إليها باعتبارها من المسلمات، ما دفعه إلى دراسة أعمال عز الدين إسماعيل وصالح فضل وجابر عصفور، وغيرهم.

ويذكر أن أيمن حماد ناقد مصري ومحاضر ومُحكّم أدبي، حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عن رسالة بعنوان "الاغتراب في الرواية المصرية الحديثة"، وله دراسات موسعة عديدة في المسرح النثري العربي، وأثار الموروثات الشعبية على المسرح، وفنون الفرجة، والأسطورة والحبر الشعبي. وله تحت الطبع كتاب بعنوان "الاغتراب في الشعر المصري المعاصر"، وآخر بعنوان "اتجاهات النقد منذ بداية الألفية الثالثة"، وهو يكتب في عدد من الإصدارات الثقافية العربية.

عن الظاهرة بوضوح شديد من خلال نموذجين، الأول: اغتراب الشخصية الروائية ذاتها، والثاني: الاغتراب المكاني.

ورسمت روايات عربية حديثة شخصية المغترّب الذي يعاني من كبت حريته وتفكك أسرته وانحلال قيم مجتمعه وصداماته المتكررة مع السلطة القاهرة في المجتمع، سواء أكانت هذه السلطة سياسية أم دينية، ما يدفعه في النهاية إلى العزلة التامة والاغتراب الملحن، وهي الخطوات الأولى للانتحار بمعناه المادي أو المعنوي عبر الوقوع في براثن الإزهاق والتحول إلى العمل الإجرامي.

ويذكر الناقد المصري أن المكان في الاغتراب المكاني يتحول إلى مصدر حزن وكآبة دائمين وتصبح الغاية المثلى للمغترّب هي محاولة مغادرة المكان، سواء أكان قرية أم مدينة أم وطنا بأكمله أم مجتمعا أشمل، وظهر ذلك في أعمال روائية عديدة لع أصحابها بعد ما عرف بثورات الربيع العربي، ونجحت في إثارة شغف الجمهور بالقراءة. ويضيف أن الشخصية المغترّبة تعاني بشكل كبير من تارجم علاتها بالزمن، فهي تتشعر دوما بثقل وطأة الزمن عليها ووقوعها فريسة له، ما يدفع بعض المبدعين إلى تغيير الزمن أو إلغائه تماما وكان الشخصية الروائية تعيش خارج إطار الزمن فتبدو شاردة وتائهة وكثيرة الصمت.

هروب مستمر

يقول حماد في حوار مع "العرب" إن "المغترّب في حالة هروب دائم، وأحيانا يأخذ الاغتراب مسارا

عكسيا فيهرب البعض من ماضيهم الذي سبب لهم الحزن والأرق الدائم إلى الحاضر الذي قد يعتبرونه خلاصا من الماضي، وهناك من يهربون من حاضرهم الكئيب المزج إلى الماضي تحت وهم خداع بتصوير جمال اللحظات الماضية ونقاءها". ويتابع "البعض يهرب من الحاضر والماضي إلى المستقبل بحثا عما يتنمنا من يوتوبيا مفتقدة في ظل صراعات أيديولوجية واستقطابات سياسية، وهناك من يهربون من المجتمعات العربية".

ويلاحظ الناقد في تحليله لظاهرة الاغتراب تركيز الروايات على مصطلح "اللبل" كجزء من الزمان، وفي الغالب يكون لبيل المغترّب هنا طويلا وتقبلا وخانقا ويبحث على الخوف والشعور

كثيرة هي الظروف التي شابها القرن العشرين والتي كانت نتيجتها إنساناً عربياً مغترّباً يعيش الألفية الثالثة بروح مهزومة ورغبة دائمة في الهروب. فهو إنسان متعب مما حوله ولا يملك حيلة لتغيير مصيره، فأصبح غريباً عن نفسه ومكانه وزمانه، وهذا ما عالجه الرواية العربية المعاصرة بدقة. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الناقد المصري أيمن حماد حول هذه الظاهرة.

وتلك صفات وسمات ونتائج سلوكية للاغتراب كظاهرة تتجاوزها بالدراسة والتحليل علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة.

ويقول في حوار مع "العرب" إن "الرواية العربية تخبرنا بأن وقائع ما تشهده بعض الدول من حروب أهلية وصراعات دموية وثورات فوضوية، جاءت بعد معاناة أهلها من اغتراب طويل لعبت التيارات الدينية دورا في تاجحه".

وكانت الرواية العربية في الستينات والسبعينات من القرن الماضي معنية بالاغتراب بسبب ما واجهته الدول من استبداد سياسي وتضييق وقمع خلال حكومات ما بعد التحرر الوطني، مثلما هو الحال في روايات "تلك الرائحة" للروائي المصري صنع الله إبراهيم، و"قدر الغرف المغلقة" للمصري عبد الحكيم قاسم، و"سُدن الملح" للسعودي عبدالرحمن منيف.

ويوضح حماد أن الشعور بهذه الظاهرة نما حتى تحول الاغتراب تدريجياً إلى شعور طاغ بضدية المكان مثلما هو الحال في رواية "الحي اللاتيني" للروائي اللبناني سهيل إدريس. ومع صعود المد الديني بسخته السلفية تاجح الشعور بالاغتراب أكثر وأصبحت الظاهرة ثيمة واضحة وشبه مشتركة في معظم الروايات العربية الحديثة.

ويذكر الناقد المصري بعض الروايات العربية التي التفتت إلى الإزهاق كخطر داهم يهدد بني المجتمعات مثل "الفاعل" (2008) للمصري حمدي أبو جليل، و"فرانكشتاين" في بغداد" (2013) للعراقي أحمد سعدي، و"أصابع لوليتا" (2014) للجزائري واسيني الأعرج، و"فئران أمي حصة" (2015) للكويتي سعود السنوسي، و"أفاعي النار" (2016) للاردني جلال برجس، وغيرها.

نموذجان للاغتراب

يوضح حماد لـ"العرب" أن "معظم الروايتين العرب قاموا، باعتبارهم غير منزعجين عن مجتمعاتهم، بالتعبير

الأردني موفق محادين يفكك مفهوم الجدل والاغتراب

عمان - ألقي المفكر الدكتور موفق محادين محاضرة بعنوان "مفهوم الجدل والاغتراب"، مساء الثلاثاء، في مقر الجمعية الفلسفية الأردنية بعمان، وفي مستهل المحاضرة، التي

روعت فيها شروط البروتوكول الصحي وجرى بثها عبر وسائل التواصل الرقمي وعلى قناة الفينيق، استعرض الدكتور محادين مفهوم الجدل لدى فلاسفة الإغريق القدماء، مبينا أن القانون الأساسي الذي تبناه أذاك هو

أن "لا حركة بلا مادة ولا مادة بلا حركة". ويقتضي مفهوم الجدل حمل دلالات متنوعة (جدل زينوون الإيلي و جدل السفسطائيين، والجدل السقراطي والافلاطوني، والجدل الهيجلي، والجدل الماركسي، والجدل عند أهل الممارسة المناظرية...)، وتعزى نشأته في مجال الإفصاح الإنساني عن الأفكار إلى اختلاف مدارك الناس وطبائعهم من جهة، وإلى وحدة الحقيقة من جهة ثانية، إذ لا جدل إلا حيث التباين في إدراك حقيقة من الحقائق.

ولفت محادين إلى كتاب الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبس الصادر عام 1651 تحت عنوان "لويثان" أو بحسب الترجمة العربية "الوحش الجبار" من منظور نظرية العقد الاجتماعي.

وتطرق إلى مقالتي الفيلسوف جان جاك روسو في "مفهوم الحكومة المدنية" و"مقال في أصل اللامساواة بين البشر وأسسها"، وذلك ضمن كتاباته في نظرية العقد الاجتماعي. واستعرض المدارس التي عملت على كسر مفهوم الاغتراب، ومنها

المدارس الصوفية، مشيراً إلى أن الوجودية أكثر مدرسة حاولت أن تجد حلاً لكسر "الاغتراب".

ويعرّف الاغتراب بأنه حالة خروج من أحد الطرفين أو من الإثنين معا. أولاً الطور الموروث، وهذا يعني خروج الإنسان من طبيعته الموروثة الجينية، مثلما انزعزل الفرد عن المجتمع بعد اغتراباً عن طبيعة الإنسان الاجتماعية. قد يكون الاغتراب عن الموروث محسوساً أو غير محسوس، أي يمكن للإنسان أن يستشعر أنه خارج عن طبيعته أو قد لا يستشعر على الإطلاق.

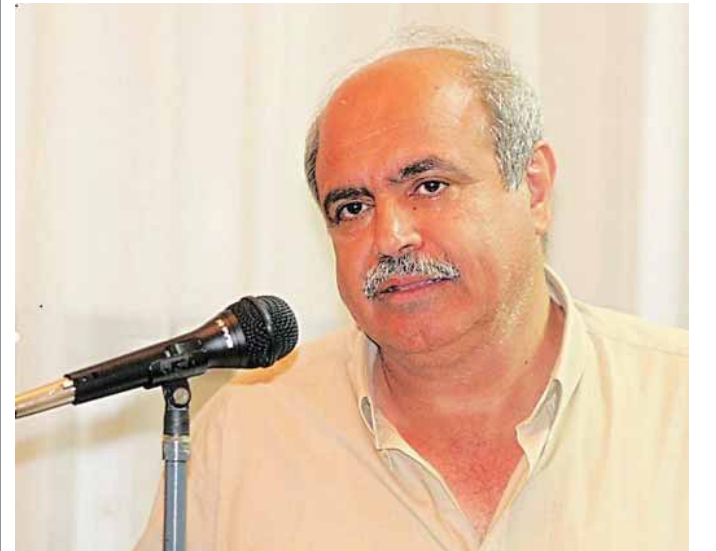
أما الثاني فهو الطور المألوف، وهو الخروج عن كل ما تعود عليه الإنسان. نقول مثلاً إن الشخص اغترب عن عادة مجتمعه إذا تخلى عن التصرف

مثله. وهذا يعود بشكل كلي إلى الدماغ والوعي، فالوعي هو الذي ينتج الاغتراب هنا، فبدون الوعي لا يمكن لشيء أن يحول بين كون الإنسان جزءاً من الطبيعة والطبيعة جزءاً منه.

وتحدث محادين عن مفهوم العقل الموضوعي/العالم الموضوعي لدى هيجل، لافتاً إلى أن ماركس غاير هيجل في ما يتعلق بمفهوم الجدل في أكثر من محطة.

وأوضح الفرق بين مفاهيم الاستلاب والانسلاخ والاغتراب الطوعي والاغتراب القسري. واستعرض مفاهيم الاغتراب الاجتماعي والاغتراب السلبي، موضحا الفرق بينهما، لافتاً إلى أن الاغتراب الاجتماعي هو أخطر من الاغتراب السلبي.

واختتم محاضرتة بالحديث عن مفهوم القوات الحضاري لدى الفيلسوف المغربي عبدالله العروي الذي شخص الاغتراب المجتمعي لدى المجتمعات العربية.



الاغتراب الاجتماعي أخطر أنواع الاغتراب الإنساني

الجمعية الفلسفية الأردنية

تحاول تقرب الفلسفة

من الجمهور من خلال

محاضرات هادفة ترصد

أهم الإشكاليات الفكرية